ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 6 No.2 2022

مظاهر التغليب في القرآن والحديث

زمان علي *
د.حافظ مقيت جاويد **

Abstract:

This study aims to elaborate the secret of Al-Taghlib / التغليب (to interpret a question so perfectly that it should encompass all the related points as well as its contradictory details.) this brief research comprises introduction, a detail review of Al-Taghlib, its kinds and conclusion in several Ayaat of Quran and Ahadis according to some Arabic stylist's interpretation. The data included in this study resemble acollection of Quranic and Prophetic style of Al-Taghlib (interpret a question so perfectly). The data were collected from several Ayaat of Quran and Ahadis, and then this study used the discourse analysis method to analyze the data according to some Arabic stylist's interpretation. The interpretation phase conducted through collected some stylist's arguments which are related to the data in this study, then concluded secret of Al-Taghlib based on their interpretation. The result showed that Al-Taghlib in Quran and Hadis was not a mistake; this has to with phenomenon of Quranic styles. This style contained secret of the great means which desired by Allah Almighty and Holy Rasool Peace be upon Him. The result gave positive effect to everyone who wants to learn Quran and Hadis. In order to understand the contents and messages of Quran and Hadis completely we have to pay attention toward some of Quranic skills such as: Arabic grammar, Arabic rhetoric, Arabic linguistic, and Arabic stylistic. From this study, it is hoped that the study can implement in the field of Arabic style.

Keywords: Arabic stylist's interpretations; discourse analysis method; Quranic and Hadis styles.

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على محمد سيد الأنبياء والمرسلين وخاتم النبيين، الذي أُنزل عليه الكتاب المبين، معجزة خالدة إلى يوم الدين، أمّا بعد؛

لاريب فيه أن القرآن الكريم هو أفضل الكلام لأنه كلام الله تعالى الذي لا مثل له، وأن العرب كانوا معترفين ببلاغة القرآن وكانوا متحيرين من أمر هذا القرآن لأنه أثر تأثيراً بالغاً في أنفسهم وكان العرب يعجزون من إتيان مثل هذا القرآن لبلاغته وفصاحته. وأيضاً نلاحظ من الأحاديث النبوية أنّ رسول الله كان قدوة للناس في بلاغة القول وفصاحته، وكان النبي صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في بلاغة القول والبيان عند لقاء الناس ربّهم يوم الدين، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

" إذا كانَ يومُ القيامةِ كنتُ إمامَ النَّبيِّينَ وخطيبَهُم ، وصاحبَ شفاعتِهِم، غيرَ فخرٍ." (1)

كما نعلم أنّ الله سبحانه وتعالى بعث كل من الأنبياء والمرسلين بمعجزة مناسبة الذي كان وجه شهرتهم في قومهم، إنه أيضاً خصّ حبيبه صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة منها جوامع الكلم وكان العرب يفاخرون ببلاغة بيانهم وفصاحتهم، كما قال: "لأن العرب أشد فخرا ببيانها وطول ألسنتها وتصريف كلامها وشدة اقتدارها وعلى حسب ذلك كانت زرايتها على كل من قصّر عن ذلك التمام ونقص من ذلك الكمال"، فلذلك نلاحظ أن كلامه كان في الطبقة العليا بعد القرآن الكريم.

وإنّ بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم وفصاحته المعجزة الخالدة، كما قال رسول الله:

"إنَّما بُعْثْتُ فاتِحاً و خاتِماً وأُعْطِيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ وفَواتِحَه واخْتُصِرَ لِي الحَديثُ اخْتِصاراً." (2)

ولا ريب فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت له كل أسباب البلاغة والفصاحة وكان عنده كل من دواعي اللسانة والاقتدار وحسن البيان. وإن بلاغة النبي هي أعلى وأولى درجة في كلام العرب و هي من أهمّ مظاهر عظمته وأعلى دلائل نبوته، لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان صاحب اللسان المبين، والكلام الفصيح والبليغ، والمنطق المستقيم، وكلمته الصادقة، وحكمته البالغة، ومعجزته الخالدة كما ختم الله تعالى على تزكية كلامه في القرآن الكريم.

---

* طالب في مرحلة الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة بنجاب، لاهور، باكستان.
** الأستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها، الكلية الشرقية، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان.

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 6 No.2 2022

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوٰى اِنْ هُوَ اِلَّا وَحْیٌ یُّوْحٰی﴾[3]

ونشاهد أن الأدب العربي والإسلامي مملوء بالبلاغة النبوية حتى لايمكن له أن يستغني عنها لبقاءه. إنّ البلاغيين يعبّرون بالبلاغة: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"؛ وهنا نبحث عن التغليب الذي أحد من صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر وهو مبحث من أهم مباحث الخبر والإنشاء، اللذان يتعلقان بعلم المعاني وهو فن من أهمّ فنون البلاغة. فالتغليب له أساليب كثيرة، المتكلم ينتقل كلامه من أسلوب إلى آخر ويريد بذلك مطابقة كلامه لمقتضى الحال.

وهنا أذكر التغليب لغةً واصطلاحاً؛

التغليب لغةً:

قال صاحب لسان العرب:

"وغلبته أنا عليه تغليبا،... إذ قالت العرب: شاعر مغلب، فهو مغلوب، وإذا قالوا: غلب فلان، فهو غالب. ويقال: غلبت ليلى الأخيلية على نابغة بن جعدي؛ لأنها غلبته، وكان الجعدي مغلبا" أي مغلوباً، وهي غالبة. [4]

التغليب اصطلاحاً:

يراد من التغليب أنه: "ترجيح أحد المعلومَين على الآخر وإطلاقه عليهما"[5]، ويكون المقصود من إطلاقه عليهما الإحتراز من مشاكلة الثقل. ويقال أن الغلبة هو أن يكون في الأصل عاما ثم يصير مشهورا في أحدهما بكثرة الاستعمال فيه حتى لاتحتاج ذلك الشئ بخلاف المستعمل فيه. مثاله البيت للكعبة، والكتاب للقرآن، والأسود للحية.

وأيضا قيل أنّ التغليب هو: "ترجيح أحد الشيئين على الآخر في إطلاق لفظه عليه". أو "هو إعطاء أحد المصطلحين أو المتشاكلين حكم الآخر".[6]

كان العرب يستخدمون أسلوب التغليب في كلامهم ويغلّبون الشيئ على غيره للربط بينهما والتناسب كما كانوا يقولون: "الأبوين" في الأب والأم، ونشاهد استخدام هذا الاصطلاح في آية القرآن الكريم:

﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾ [7]

واستعمل القرآن هذا الاصطلاح في الأب والخالة في سورة يوسف:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [8]

كما يقال: "الخافقان" في المشرق والمغرب، وإنما الخافق هو المغرب، و"القمران" في الشمس والقمر، ونلاحظ مثاله في شعر الفرزدق قال:

أخذنا بآفاق السّماء عليكم لنا قمراها والنّجوم الطوالع[9]

إن الفرزدق أراد بشعره هذا محمدا والخليل عليهما الصلاة والسلام؛ لأنه يتعلق نسبه بهما بوجه، ومراده بالنجوم هو الصحابة رضي الله عنهم؛ وأيضاً يقال: "العمران" في أبي بكر وعمر؛ وقال بعضهم: المراد بعمرين عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، فلا تغليب هنا، ومثاله: "العجّاجين" في رؤبة والعجّاج، و"المروتين" في الصّفا والمروة.

ولهذا الباب المجال الواسع كما قال السكاكي:

"وباب التغليب باب واسع يجري في كل فن." [10]

وقال أيضاً التفتازاني:

"والتغليب يجري في فنون كثيرة".[11]

ونلاحظ في البلاغة أن التغليب له صور كثيرة منها:

- ❖ تغليب المذكر على المؤنث
- ❖ تغليب المخاطب على الغائب
- ❖ تغليب الأكثر على الأقل
- ❖ تغليب الأقل على الأكثر
- ❖ تغليب غير ذوي العقول على ذوي العقول.

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 6 No.2 2022

❖ تغليب الأخف على من دونه

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 6 No.2 2022

تغليب المذكر على المؤنث:

إننا نلاحظ في هذا المبحث علما من علوم القرآن والسنة، وفنّا من أهم فنون البلاغة وهو التغليب الذي يشتمل كثيرا من الأنواع ومنها تغليب المذكر على المؤنث ونشاهد في الأدب العربي والإسلامي كان العرب يغلبون المذكر على المؤنث في أقوالهم وأعمالهم دائما. كما قال الله تعالى في القرآن المجيد:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾[12]

وأيضاً قال الله تعالى في مقام آخر تغليباً للمذكر على المؤنث:

﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقٰنِتِيْنَ﴾.[13]

في هذه الآية عدت الأنثى من الذكور بحكم التغليب[14]. أي تعد سيدتنا مريم عليها السلام في حكم الرجال القانتين وهذا تغليب الرجال على الإناث. فلذلك قال الله: ﴿كَانَتْ مِنَ الْقٰنِتِيْنَ﴾ تبيانا أنها من العباد قانتة جدا واجتهادا وعِلما ورفعها الله لدرجاتها في أوصاف الرجال القانتين وطريقهم.[15]

إستخدام أسلوب تغليب المذكر على المؤنث في الأحاديث النبوية كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رواية عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: "كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ،...، فَقَالَ: "زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي"، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ...الخ" [16]

استخدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صيغة الجمع للمذكر المخاطب "زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي"، للمؤنث المخاطب السيدة خديجة رضي الله عنها كما جاء في روايات كثيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم حينما رجع من غار الحراء أخبر أولاً السيدة خديجة رضي الله عنها عن نزول الوحي الأول وكان النبي صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى قال: "زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي"، نجد في قول رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تغليب المذكر على المؤنث خلافاً للظاهر وكان مقتضى الظاهر أن يقال: "زمّلي زمّلي".

ومثال هذا الأسلوب نظرنا في حديث آخر الذي روتها السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: "دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: "هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟" فَقُلْنَا: لَا، قَالَ: "فَإِنِّي إِذَنْ صَائِمٌ." ثُمَّ أَتَانَا يَوْمًا آخَرَ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُهْدِيَ لَنَا حَيْسٌ، فَقَالَ: "أَرِينِيهِ، فَلَقَدْ أَصْبَحْتُ صَائِمًا؛ فَأَكَلَ."[17]

يمكن لنا أيضا أن نشاهد شواهد أسلوب تغليب المذكر على المؤنث في هذا الحديث، كما قال النبي: "هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟" بدأ النبي صلى الله عليه وسلم كلامه بضمير الجمع للمذكر المخاطب "كُمْ" ويراد منه المؤنث لأنه استخدم للسيدة عائشة رضي الله عنه كما يظهر من الحديث، خلافا للظاهر وكان مقتضى الظاهر أن يقال: "هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟" والمقصود من استخدام هذا الأسلوب هو ترجيح المذكر على المؤنث.

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم مريضاً ومستلقياً في بيت عائشة رضي الله عنها أمر أبا بكر رضي الله عنه أن يصلّي بالناس واستخدم أسلوب تغليب المذكر على المؤنث في قوله كما نشاهد في رواية عائشة رضي الله عنها قالت: لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتِي، قَالَ: "مُرُوا أَبَا بَكْرٍ، فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ. "قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ لَا يَمْلِكُ دَمْعَهُ...الخ" [18]

إذا تأملنا في هذا الحديث المذكور نلاحظ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استخدم صيغة الجمع للمذكر المخاطب "مُرُوا" للمؤنث الواحد للسيدة عائشة رضي الله عنها كما تظهر من الحديث أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاطب عائشة رضي الله عنها واستخدم صيغة الجمع خلافا للظاهر، لأن الظاهر يقتضي أن يقال: "مُري أبا بكر، فليصلّ بالناس" ولكن النبي صلى الله عليه وسلم استخدم كلمة الجمع المذكر المخاطب، فوجدنا في هذا الحديث تغليب المذكر على المؤنث.

ومثل هذا في قول النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ؛ ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾. وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾. وَقَالَ: بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةُ، إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَاهُنَا رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ: أُخْتِي...الخ"[19]

نلاحظ في ظاهر الحديث تغليب المذكر على المؤنث كما أتى إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة على جبار من الجبابرة كما نلاحظ تصريحه في رواية أُخرى: "بَيْنَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّ بِجَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ...الخ"[20]، وجاء هذا القول أيضاً بأسلوب مختلف في حديث آخر: "هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ بِسَارَةَ، دَخَلَ بِهَا قَرْيَةً فِيْهَا جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ... الخ"[21] خلافاً للظاهر وكان مقتضى الظاهر أن يقال: "أتيا" بصيغة التثنية، ولكنه استخدم صيغة الواحد المذكر الغائب وقال:

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 6 No.2 2022

"أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ" تغليباً للمذكر على المؤنث، فنلاحظ كلا الحديثين المذكورين يدلان على أن يذكر بصيغة التثنية، وأيضاً كان مقتضى الظاهر أن يقال: "من أحسن النساء"، كما نلاحظ في رواية: "دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بِامْرَأَةٍ هِيَ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ...الخ"[22]

من أمثلة التغليب للمذكر على المؤنث حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ". مَرَّتَيْنِ. [23]

في هذا الحديث أراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبيلة الأنصار بقوله "إِنَّكُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ" وخاطب فيه إمرأة بضمير الجمع المذكر المخاطب، هنا نلاحظ تغليب الأكثر على الأقل على وجه لأن المراد هو قبيلة الأنصار، وأيضاً في هذا القول تغليب المذكر على المؤنث كما جاء في الحديث الآخر: "أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ أَتَتْ النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وَمَعَهَا أَوْلَادَهَا، فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ إِنَّكُمْ أَحَبُّ النَّاسِ عَلَيَّ...إلخ" تغليباً المذكر على المؤنث.

تغليب المخاطب على الغائب:

إنّا نلاحظ في القرآن الكريم والأحاديث النبوية كثيرا من الأماكن التي استخدم فيها أسلوب الكلام لتغليب المخاطب على الغائب، كما قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿بَلْ اَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُوْنَ﴾[24]

نجد في هذه الآية الكريمة أسلوب تغليب المخاطب على الغائب كما قال الله تعالى: ﴿تَجْهَلُوْنَ﴾ ونحن نعلم أن هذه الكلمة تستعمل للجمع المذكر المخاطب، وهنا يراد بها الجمع المذكر الغائب وكان مقتضى الظاهر أن يقال: "يجهلون" الذي يعود ضميره إلى القوم، ولكن تستخدم كلمة "تجهلون" في الآية الكريمة رعاية للخطاب (أنتم) خلافاً لمقتضى الظاهر، فهنا تغليب المخاطب على الغائب واضح، فوصف المخاطبين بالجهل.

وهذا الأسلوب لتغليب المخاطب على الغائب نلاحظه في كثير من الأحاديث سأقدّم هنا بعض الأحاديث نموزجاً كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رواية أبي موسى رضي الله عنه: "مَرِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاشْتَدَّ مَرَضُهُ، فَقَالَ: "مُرُوا أَبَا بَكْرٍ، فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ"، فَقَالَتْ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ مَتَى يَقُمْ مَقَامَكَ لَا يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَقَالَ "مُرِي أَبَا بَكْرٍ، فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ." قَالَ فَصَلَّى بِهِمْ أَبُو بَكْرٍ حَيَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. [25]

قَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مُرِي أَبَا بَكْرٍ، فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ." وجدنا في هذه الكلمات تغليب المخاطب على الغائب لأن كلمة "فَإِنَّكُنَّ" تستخدم للجمع المؤنث المخاطب ويراد منها هنا المفرد المؤنث المخاطب كما واضح من الحديث أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاطب عائشة رضي الله عنه واستخدم كلمة الجمع المؤنث المخاطب، هذه الكلمة خلافا للظاهر، لأنّ الظاهر يقتضي أن يستخدم الكلمة الواحد المؤنث المخاطب ويقال: "مري أبا بكر رضي الله عنه، فليصل بالناس فإنكِ من صواحب يوسف" فوجدنا في هذا الحديث تغليب المخاطب على الغائب.

ونجده في قول عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَالَتْ هِنْدٌ أُمُّ مُعَاوِيَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ آخُذَ مِنْ مَالِهِ سِرًّا؟ قَالَ: "خُذِي أَنْتِ وَبَنُوكِ مَا يَكْفِيكِ بِالْمَعْرُوفِ".[26]

مثل هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: "خُذِي أَنْتِ وَبَنُوكِ مَا يَكْفِيكِ بِالْمَعْرُوفِ" فيه نلاحظ تغليب المخاطب على الغائب لأن الظاهر يقتضي أن يقال: "ما يكفيكم" رعايةً لأكثر على الأقل ولكن خرج الكلام عن مقتضى الظاهر تغليباً للحاضر على الغائب. وكان مقتضى الظاهر أيضاً أن يقال: "خذي أنت ما يكفيك وبنيك بالمعروف" الذي كان معروفاً كما جاء فيه رواية أخرى قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن (زوجه) أبا سفيان رجل شحيح (بخيل) وليس (هو) يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه (مخفياً) وهو لا يعلم، فقال: "خذي أنت ما يكفيك وولدك بالمعروف."[27]

تغليب الأكثر على الأقل:

إنّ العرب كانوا يستخدمون هذا الأسلوب في كلامه ويغلبون الأكثر على الأقل للإحتراز من الإطناب ولتزيين الكلام بالإيجاز ونلاحظ هذا الأسلوب أيضاً في القرآن الكريم كما قال الله تعالى في القرآن الكريم والفرقان الحميد:

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[28]

إننا نلاحظ أسلوب تغليب الأكثر على الأقل في هذه الآية كما قال السيد جعفر:

> "غلب الملائكة على إبليس وهو ليس منهم وسمي الجميع (ملائكة) وفي ذلك تذكير له بما كان عليه من قبل بوصفه ملكاً، ثم سلبت عنه الملائكة؛ لعصيانه أمر ربه بالسجود لآدم، فيمتليء بالحسرة على طرده من زمرة الملائكة."[29]

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 6 No.2 2022

نشاهد أن الله سبحانه وتعالى استخدم الكلمة "الكافرين" التي تستخدم للجمع المذكر، مع ذلك لم يكن هناك كافر واحد إلا ابليس، فهنا نلاحظ أسلوب تغليب الأكثر على الأقل في الآية الكريمة. وأمثلة هذا الأسلوب نلاحظ في الأحاديث النبوية التي استخدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها أسلوب تغليب الأكثر على الأقل، كما جاء في رواية أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا صَلَاةَ إِلَّا بِقِرَاءَةٍ"، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: "فَمَا أَعْلَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَنَّاهُ لَكُمْ، وَمَا أَخْفَاهُ أَخْفَيْنَاهُ لَكُمْ."[30]

قال أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: "فَمَا أَعْلَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَنَّاهُ لَكُمْ، وَمَا أَخْفَاهُ أَخْفَيْنَاهُ لَكُمْ" وجدنا في هذه الكلمات تغليب الأكثر على الأقل لأن كلمة "أَعْلَنَّا" تستخدم للجمع المتكلم ويراد منها هنا الواحد المتكلم، هذه الكلمات خلافا للظاهر، لأن الظاهر يقتضي أن يقال: "فما أعلن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلنتُه لكم، وما أخفاه أخفيتُه لكم" فوجدنا في هذا الحديث تغليب الأكثر على الأقل.

نلاحظ هذا الأسلوب أيضاً في الحديث المذكور كما قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رواية عائشة رضي الله عنها قالت: لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتِي، قَالَ: "مُرُوا أَبَا بَكْرٍ، فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ." قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ لَا يَمْلِكُ دَمْعَهُ...الخ [31]

ولاريب فيه أنّ اللغة العربية مملوءة بالبلاغة والفصاحة حتى لايمكن لنا أن نقارنها باللغات الأخرى العالمية، وفي اللغة العربية لا مثل لكلام النبي صلى الله عليه وسلم في البلاغة والفصاحة لأنّا نلاحظ كثير من أساليب البلاغة في الحديث الواحد فقط كما في الحديث المذكور نلاحظ أسلوب تغليب المذكر على المؤنث، وتغليب المخاطب على الغائب، وأيضاً فيه أسلوب تغليب الأكثر على الأقل، إذا تأملنا في هذا الحديث المذكور شاهدنا فيه تغليب الأكثر على الأقل. كما قال: "مُرُوا أَبَا بَكْرٍ، فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ" لأن كلمة "مُرُوا" تستخدم للجمع المذكر ويراد منها هنا الواحد المؤنث وهي السيده عائشة، فهذه الكلمات خلافا للظاهر، لأن الظاهر يقتضي أن يقال: "مُري أبا بكر، فليصلّ بالناس" أو يقال: "مُر أبا بكر، فليصلّ بالنّاس" أي كان يمكن أن يستعمل الفعل للمفرد المذكر ولكن النبي صلّى الله عليه وسلّم استخدم أسلوب تغليب الأكثر على الأقل في هذا الحديث لرعاية الكثير على القليل.

ونجد أيضاً هذا الأسلوب في رواية عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا." قَالَ: فَقَالَ بِلَالُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ. قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ، فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَقَالَ: أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَقُولُ: وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ.[32]

هذا نصيب النبي صلى الله عليه وسلم فقط أنه ما قال بلغ على قمّة البلاغة والفصاحة حتى لايمكن لتاريخ الأدب العربي والعجمي أن يقدّم مثل هذا الأدب النبوي على صاحبه الصلوة والسلام كما يمكن لنا أن نلاحظ شواهد البلاغة النبوية في هذا الحديث المذكور فيه تغليب الأكثر على الأقل. كما قال: "فَقَالَ بِلَالُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ" وجدنا في هذه الكلمات تغليب الأكثر على الأقل لأن كلمة "لَنَمْنَعُهُنَّ" تستخدم للجمع المتكلم ويراد منها هنا الواحد المتكلم لأن المتكلم لهذه الكلمة هو بلال رضي الله عنه فكان يمكن له أن يقول: "لأمنعهن"، فقال هذه الكلمات خلافا للظاهر، لأن الظاهر يقتضي أن يقال: "لأمنعهن" ولكن استخدم كلمة للجمع المتكلم.

نجد مثال هذا في قول النبي صلى الله عليه وسلمَ قَالَ: "أَصَلَّى النَّاسُ ؟" قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ، قَالَ: "ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ". قَالَتْ: فَفَعَلْنَا، فَاغْتَسَلَ فَذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَصَلَّى النَّاسُ ؟" قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ". قَالَتْ: فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: "أَصَلَّى النَّاسُ ؟" قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ....الخ[33]

في هذا الحديث النبوي نشاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم خاطب أزواجه الكريمات رضي الله عنهنّ التي كنّ في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم في الأيام الأخيرة من حياته المقدّسة، وأمرهنّ بصيغة الجمع المذكر المخاطب كما قال: "ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ" ثلاث مرات، في هذا القول نلاحظ تغليب الأكثر على الأقل وأيضاً تغليب المذكر على المؤنث.

مثال تغليب الأكثر على الأقل نجد في هذا الحديث قَالَ النبي صلى الله عليه وسلم: "يَأْتِي الدَّجَّالُ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ بَعْضَ السِّبَاخِ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ، أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا عَنْكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَهُ. فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، هَلْ تَشُكُّونَ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا. فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْيَوْمَ. فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَقْتُلُهُ فَلَا أُسَلَّطُ عَلَيْهِ".[34]

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 6 No.2 2022

إنّ في هذا الحديث نلاحظ رجلاً الذي كان من خير الناس ويلقى الدجال يوم القيامة ويقول له: "أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ"، ثم يقول الدجال لذلك الرجل: "أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا؟" إلى هذا، كان الكلام مطابقاً لمقتضى الحال، ثم بعد ذلك قال الدجال: "هَلْ تَشُكُّونَ فِي الْأَمْرِ؟" في هذه الجملة يؤتى الكلام بصيغة الجمع للمذكر المخاطب "تَشُكُّونَ" خلافاً للظاهر لأن الظاهر يقتضي أن يؤتى الكلام بصيغة الواحد للمذكر المخاطب حسب ما سبق ويقال: "هَلْ تَشُكُّ فِي الْأَمْرِ؟" لأن مخاطَبه كان رجلاً واحدً، ولكن خرج الكلام عن مقتضى الظاهر تغليباً لأكثر على الأقل.

تغليب الأقل على الأكثر

إن النبي صلى الله عليه وسلم كان صاحب أفضل الكلام في البلاغة والفصاحة حتى يعجز الناس أن يأتوا مثل كلامه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفتخر بذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"أُعطيتُ جوامعَ الكلِمِ"[35]

فإذا نظرنا في الأحاديث النبوية نجد أسلوب تغليب الأقل على الأكثر كما جاء في الأحاديث النبوية مثله رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: "فِي كُلِّ الصَّلَاةِ يَقْرَأُ، فَمَا أَسْمَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْمَعْنَاكُمْ، وَمَا أَخْفَى مِنَّا أَخْفَيْنَا مِنْكُمْ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنْ لَمْ أَزِدْ عَلَى أُمِّ الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ: "إِنْ زِدْتَ عَلَيْهَا فَهُوَ خَيْرٌ، وَإِنِ انْتَهَيْتَ إِلَيْهَا أَجْزَأَتْ عَنْكَ." [36]

نشاهد في الأحاديث النبوية أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان لا يحتاج في التكلم إلى التصنع أو التكلف بل كان يتكلم الكلام الفصيح والبليغ بغير أي دقة ومشكلة حتى يكون كلامه على قمة البلاغة وكان العرب يتحيرون من كلامه البليغ، نلاحظ في هذا الحديث المذكور تغليب الأقل على الأكثر. كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنْ زِدْتَ عَلَيْهَا فَهُوَ خَيْرٌ، وَإِنِ انْتَهَيْتَ إِلَيْهَا أَجْزَأَتْ عَنْكَ" إنّ في هذه الكلمات تغليب الأقل على الأكثر لأن كلمة "انْتَهَيْتَ" تستخدم للواحد المذكر المخاطب ويراد منها هنا كل من المسلمين، هذه الكلمات خلافا للظاهر، لأن الظاهر يقتضي أن يقال: "وإن انتهيتم إليها أجزأت عنكم."

ومثال تغليب الأقل على الأكثر نشاهد في رواية أبي هريره رضي الله عنه الأخرى يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، فَإِذَا وَافَقَ قَوْلُ أَهْلِ الْأَرْضِ قَوْلَ أَهْلِ السَّمَاءِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ."[37]

حسب الأحاديث المذكورة نجد في هذا الحديث أسلوب تغليب الأقل على الأكثر، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَقُولُوا اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، فَإِذَا وَافَقَ قَوْلُ أَهْلِ الْأَرْضِ قَوْلَ أَهْلِ السَّمَاءِ" لأن كلمة "قَوْلُ" تستخدم للواحد ويراد منها هنا "أقوال" لأن النبي صلى الله عليه وسلم استخدم هذه الكلمة لأهل الأرض وهم كثير لا واحد ولا قليل، فلذلك هذه الكلمات خلافا للظاهر، لأن الظاهر يقتضي أن يقال: "فَإِذَا وَافَقَ أَقْوالُ أَهْلِ الْأَرْضِ أَقْوالَ أَهْلِ السَّمَاءِ"، ولكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد الكل في القول الواحد لتأكيد المعنى وإيجازه.

تغليب المذكر أو الأخف على غيرهما:

أهم من هذا البحث هو "الأبوان ومثلها". إن أهل العرب يستخدمون كلمة "الأبوان"[38] تغليبا على المؤنث. ولكن مخالفة الظاهر في المثال المذكور هي من جهة الهيئة والصيغة. وهنا نستخدم جهة المادة وجوهر اللفظ. كما قال عنه التفتازاني:

> "ومن التغليب الأبوان للأب والأم ونحوه كالعمرين لأبي بكر وعمرو والقمرين للشمس والقمر وذلك بأن يغلب أحد المتصاحبين أو المتشابهين على الآخر بأن يحصل الآخر متفقاً فله في الاسم ثم يُثنى ذلك الاسم ويقصد اللفظ إليهما جميعاً. فمثل أبوان ليس من قبيل قوله تعالى ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقٰنِتِيْنَ﴾[39] كما توهمه بعضهم لأن الأبوة ليست صفة مشتركة بينهما كالقنوت. فالحاصل أن مخالفة الظاهر في مثل القانتين من جهة الهيئة والصيغة وفي مثل أبوان من جهة المادة وجوهر اللفظ بالكلية."[40]

وقال فيه الرامبوري:

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 6 No.2 2022

"فالأصل في هذا التغليب أن يغلب الأخف على غيره إلا أن يكون الغير مذكراً فيغلب على المؤنث وإن كان المؤلف أخف ففي نحو القمرين أي الشمس والقمر غلب القمر لكونه مذكراً وإن كان لفظ الشمس ليكون وسطه أخف."[41]

وقال فيه السكاكي:

"وفي نحو العمرين أي أبي بكر وعمر غلب عمر على أبي بكر رضي الله عنه لخفة لفظ عمر."[42]

أسلوب تغليب المذكر على المؤنث يوجد في كثير من الأحاديث وأحد منها قول رسول الله قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُجَاهِدُ ؟ قَالَ: "لَكَ أَبَوَانِ؟". قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: "فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ".[43]

مثل أسلوب تغليب المذكر على المؤنث هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أبوان" كما نعلم أن هذه الكلمة تثنية الأب، ويراد منها هنا الأب والأم، وهذا المراد هو المعروفة، وأيضاً نلاحظ كلمة "الوالدان" التي تثنية الوالد، وكلمة الوالد هي صيغة الواحد المذكر اسم الفاعل، ولكن نشاهد أن هذه الكلمة إذا تطلق على "الوالدان" يراد منها الأب والأم، كما نقرأ في رواية أخرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "جاء الرجل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فاستأذنه (أي طلب الإذن منه) في الجهاد فقال (سأله النبي): أحيّ والداك؟ قال (الرجل) نعم، قال (له النبي) ففيهما فجاهد".[44] فهاتان الكلمتان "الأبوان"، و"الوالدان" من أسلوب تغليب المذكر على المؤنث.

تغليب ذوي العقول على ضدهم:

مثال هذا الأسلوب في القرآن المجيد كما قال الله تعالى:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾[45].

إذا تأملنا في هذه الآية الكريمة نجد فيها أنّ الله تعالى استخدم "مَنْ" الذي موضوعة للعاقل وكان مقتضى الظاهر أن يقال "ما" الذي وضع لغير العاقل لأن الدابة غير ذوي العقول فلذلك في الآية الكريمة تغليب ذوي العقول على غير ذوي العقول.

كما قال السيد جعفر:

"وذلك على سبيل التغليب؛ إذ أعطى صفة الآدميين لغيرهم من الذين لا يعقلون كأنهم وصفهم بالتميز والبصر، شأن العاقل المميز للأمور، المتبصر في شؤون حياته."[46]

وقال الله تعالى في مقام آخر:

﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾[47].

نجد فيه هذه الآية أيضاً تغليب ذوي العقول على ضدهم كما قال السكاكي:

"كذا يذرؤكم في قوله هذا خطاباً شاملاً للعقلاء والأنعام مغلباً فيه المخاطبون على الغيب والعقلاء على ما لايعقل."[48]

تغليب غير ذوي العقول على ذوي العقول:

نحن نعلم أنّ التغليب غير ذوي العقول على ذوي العقول أمر عجيب وغريب ولكن رغم ذلك نلاحظ هذا الأسلوب في بعض أماكن الأحاديث النبوية لرعاية الكثير على القليل حسب أسلوب العرب، ولاريب فيه أنّ هذا الأسلوب فصيح وبليغ أن يلقى الكلام مطابقا ومؤكدا لمقتضى الحال والمقال كما نشاهد في كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رواية أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ، وَيَقِي ذَلِكَ مِثْلُ مُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ."[49]

يمكن لنا أن نشاهد في هذا الحديث المذكور أسلوب تغليب غير ذوي العقول على ذوي العقول في هذه الكلمات: "يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ، وَيَقِي ذَلِكَ مِثْلُ مُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ" استخدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلمة "يَقْطَعُ" صيغة الواحد المذكر للغائب للحمار والكلب اللذان غير ذوي العقول؛ فهذا أسلوب تغليب غير ذوي العقول على ذوي العقول، لأن الظاهر يقتضي أن يقال: "تقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب،" لرعاية ذوي العقول ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه الكلمات لرعاية الأكثر على الأقل تغليباً لغير ذوي العقول على ذوي العقول."

هناك كثير من الأحاديث التي يمكن لنا أن نقدمّها نموزجاً لهذا الأسلوب ولكن لا نريد أن نطيل هذا المبحث لأنّ مقصوده الكشف لأسلوب التغليب في الأحاديث النبوية، من تلك الأمثال رواية إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ التَّيْمِيِّ قَالَ: "كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَى أَبِي الْقُرْآنَ فِي السُّدَّةِ، فَإِذَا قَرَأْتُ السَّجْدَةَ سَجَدَ. فَقُلْتُ

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 6 No.2 2022

لَهُ يَا أَبَتِ، أَتَسْجُدُ فِي الطَّرِيقِ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يَقُولُ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ. قَالَ: "الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ." قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: "الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى." قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: "أَرْبَعُونَ عَامًا، ثُمَّ الْأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ، فَحَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ." (50)

ولاريب فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له أساليب الكثيرة الجديدة في أقواله حتى إذا تأملنا في هذا الحديث المذكور شاهدنا فيه تغليب غير ذوي العقول على ذوي العقول، كما قَالَ: "أَرْبَعُونَ عَامًا، ثُمَّ الْأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ، فَحَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ." وجدنا في هذه الكلمات تغليب غير ذوي العقول على ذوي العقول لأن كلمة "أَدْرَكَتْ" تستخدم للواحد مؤنث الغائب وتستخدم هنا للصلاة التي غير ذوي العقول كما واضح من الحديث فهذا خلاف للظاهر، لأن الظاهر يقتضي أن يقال: "فحيثما أدركتَ الصلاة فصل." فوجدنا في هذا الحديث تغليب غير ذوي العقول على ذوي العقول.

تغليب الأخف على من دونه:

نجد في أسلوب التغليب نوعاً من أنواعه المعروفة وهو تغليب الأخف مثل هذا في رواية عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَاقالت: تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ شَبِعْنَا مِنَ الْأَسْوَدَيْنِ: التَّمْرِ وَالْمَاءِ. (51)

إن هذا الحديث أيضاً مثال التغليب كما قالت عائشة رضي الله عنها: "حِينَ شَبِعْنَا مِنَ الْأَسْوَدَيْنِ" فكلمة "الأسودين" تطلق على التمر والماء، ونحن نعلم أن الماء ليس له اللون، وأن التمر له لون الأسود، فلما جمع الماء والتمر قالت لهما عائشة رضي الله عنها "الأسودين" رعايةً للون التمر على الماء كما قال عنه العيني رحمه الله:

"قوله: "من الأسودين" تثنية الأسود، وهما التمر والماء، وهذا من باب التغليب، وإن كان الماء شفافاً لا لون له وذلك كالأبوين لأب وأم، والقمرين: للشمس والقمر، والأحمرين: للحم والشراب، وقيل: الذهب والزعفران، والأبيضين: الماء واللبن، والأسمرين: للماء والملح وكذلك قالوا: العمرين: لأبي بكر وعمر، وغلبوا عمر لأنه أخفما بعد".

خلاصة البحث:

إن هذا البحث يبين أسلوب التغليب البلاغي وتعريفه لغوياً وإصطلاحياً، وأنواعه بشواهد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويشرح تلك الشواهد التي استخدم فيها أسلوب التغليب للمذكر على المؤنث، والمخاطب على الغائب، والأكثر على الأقل، والأقل على الأكثر، ولغير ذوي العقول على ذوي العقول، والأخف على من دونه، إن من أهم الوسائل التي أخذت منها شواهد التغليب هي القرآن الكريم، والصحيحين (البخاري والمسلم).

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 6 No.2 2022

المراجع:

1: الترمذي، الجامع، أبواب مناقب رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم: 3613.
2: البخاري، الصحيح، كِتَابُ الاعْتِصام بِالْكِتابِ والسُّنَّة، بابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: "بُعِثْتُ بِجَوامِعِ الكَلِمِ"، رقم الحديث: 6845، وأورَدَه الدّارقُطنِيّ في السُّنَنِ بلفْظِ : "أُعْطيتُ جَوامِعَ الْكَلِمِ" و اختُصِرَ لِي الحديثُ اختِصارًا". وأوردَهُ ابْنُ كَثير في البداية و النّهاية بِلَفْظِ : "أَيُّها النّاسُ إِنّي قَدْ أوتيتُ "جَوَامِعَ الْكَلِمِ" وخَواتيمَهُ و اخْتُصِرَ لِي اخْتِصارًا."
3: سورة النجم، الآيات: 3-4.
4: الإفريقي، ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. (بيروت _ لبنان: دار الكتب العلمية، 1403ھ/ 1983م). ج1 ص652.
5: السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (626ھ). مفتاح العلوم. (بيروت _ لبنان: دار الكتب العلمية، 1403ھ/ 1983م). ص241.
6: القزويني، محمد عبدالرحمن (الخطيب). تلخيص المفتاح. (قم _ إيران: منشورات إسماعيليان، 1427ھ). ص38.
7: سورة النساء، الآية: 11.
8: سورة يوسف، الآية: 100.
9: البيت من البحر الطويل ، وهو للفرزدق في ديوانه 1 / 419 ، والأشباه والنظائر 5 / 107 ، وخزانة الأدب 4 / 391 ، وبلا نسبة في لسان العرب مادة (شرق).
10: حفني ناصف، محمد دياب وزملائه. دروس البلاغة. (لاهور _ باكستان: المدينة العلمية، 1428ھ/2007م). ص140.
11: القزويني، محمد عبدالرحمن (الخطيب). الإيضاح في علوم البلاغة. (بيروت_لبنان: دار الكتاب العربي، 1429ھ/ 2007م). ص138.
12: سورة النساء، الآية: 34.
13: سورة مريم، الآية: 12.
14: السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (626ھ). مفتاح العلوم. (بيروت _ لبنان: دار الكتب العلمية، 1403ھ/ 1983م). ص242.
15: التفتازاني، سعد الدين (791ھ). شرح المختصر على تلخيص المفتاح. (قم _ إيران: منشورات إسماعيليان، ط: 3، 1427ھ). ص138.
16: المسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (261ھ). صحيح مسلم. (الرياض _ السعودية: دار السلام، ط: 1، 1999م)، كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي، رقم: 160.
17: المسلم، الصحيح، كتاب الصيام، باب: جواز صوم النافلة بنية من النهار قبل الزوال، رقم: 1154.
18: المسلم، الصحيح، كتاب الصلاة، باب: استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما، رقم: 94.
19: البخاري، الصحيح، كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، بَابُ: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، رقم:3358.
20: البخاري، الصحيح، كتاب النكاح، باب: اتخاذ السراري، ومن أعتق جارية ثم تزوجها، رقم: 5084.
21: البخاري، الصحيح، كتاب الإكراه، باب: إذا استكرهت المرأة على الزنى فلا حدّ عليها، رقم: 6950.
22: البخاري، الصحيح، كتاب البيوع، باب: شراع المملوك من الحربي وهبته وعتقه، رقم: 2217.
23: البخاري، الصحيح كِتَابُ مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ، بَابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَنْصَارِ: "أَنْتُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ "، رقم: 3786.
24: سورة النمل، الآية: 55.
25: الصحيح، كتاب الصلاة، باب: استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما، رقم: 101.
26: البخاري، الصحيح، كِتَابُ الْبُيُوعِ، بَابٌ: مَنْ أَجْرَى أَمْرَ الْأَمْصَارِ عَلَى مَا يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ فِي الْبُيُوعِ، رقم: 2211.
27: البخاري، الصحيح، كِتَابُ الْبُيُوعِ، بَابٌ: مَنْ أَجْرَى أَمْرَ الْأَمْصَارِ عَلَى مَا يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ فِي الْبُيُوعِ، رقم: 2211.
28: سورة ص، الآيات: 73-74.
29: جعفر (السيد)، أساليب المعاني. (بيروت_لبنان: دار الكتاب العربي، 1429ھ/ 2007م). ص418.
30: المسلم، الصحيح، كتاب الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم: 42.
31: المسلم، الصحيح، كتاب الصلاة، باب: استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما، رقم: 94.
32: المسلم، الصحيح، كتاب الصلاة، باب: خروج النساء إلى المساجد، رقم: 135.
33: البخاري، الصحيح كِتَابُ الْأَذَانِ، بَابٌ: إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، رقم: 687.
34: البخاري، الصحيح، كِتَابُ فضائل المدينة، بَابٌ: لَا يَدْخُلُ الدَّجَّالُ الْمَدِينَةَ، رقم: 1879.
35: المسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (261ھ). صحيح مسلم. مرجع سابق، رقم الحديث: 845.
36: المسلم، الصحيح، كتاب الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم: 43.
37: المسلم، الصحيح، كتاب الصلاة، باب: النهي عن مبادرة الإمام بالتكبير وغيره، رقم: 88.
38: القزويني، محمد عبدالرحمن (الخطيب). تلخيص المفتاح. (قم _ إيران: منشورات إسماعيليان، 1427ھ). ص38.
39: سورة التحريم، الآية: 12.

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 6 No.2 2022

40: التفتازاني، شرح التلخيص، مرجع سابق، ص138.
41: الرامفوري، أبو الأفضال محمد فضل حق. شموس البراعة. (كراتشي _ باكستان: مكتبة المدينة، 1428ھ /2007م). ص140.
42: السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص243.
43: البخاري، الصحيح، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابٌ: لَا يُجَاهِدُ إِلَّا بِإِذْنِ الْأَبَوَيْنِ، رقم: 5972.
44: البخاري، الصحيح، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابٌ: لَا يُجَاهِدُ إِلَّا بِإِذْنِ الْأَبَوَيْنِ، رقم: 5972.
45: سورة النور، الآية: 45.
46: جعفر (السيد)، أساليب المعاني، مرجع سابق، ص418.
47: سورة الشورى، الآية: 11.
48: السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص243.
49: المسلم، الصحيح، كتاب الصلاة، باب: قدر ما يستر المصلي، رقم: 266.
50: المسلم، الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم: 2.
51: البخاري، الصحيح، كِتَابُ الْأَطْعِمَةِ، بَابٌ: مَنْ أَكَلَ حَتَّى شَبِعَ، رقم: 7180.